بين التجارة والثقافة

ثمة فرق بين أُناس يسلّمون أمورهم إلى مَن بيده أزِمَّة مقاديرها ويشترون راحة قلوبهم باخلاص والتوكل على الله علّهم ينجحون ويربحون، وحكام يؤثرون تبديل التحالفات على أن يفقدوا مرّة واحدة ما يضمن مصلحتهم الشخصية أو العيلية أو الفئوية...

ثمة أمثال شعبية كثيرة تعكس هاتين الحالتين المتداخلتين أحياناً بحيث قيل انه كما تكونون يولّى عليكم.

بعد حراك فئات من شعبنا المتعثّر إلى حدّ ما، لا بدّ من إيضاح ما يلي:

١- الثورة الحقيقية فلسفة فمسيرة موصولة فبلوغ أهداف عليا مشتركة.

٢- ان أسياد الحروب الأهلية يصعب عليهم أن يستحيلوا أمراء سلام.

٣- يجب إيثار الرجال أو النساء الذين لديهم ثبات في المبادئ وأفكار واضحة وجليّة، يمضون حتى النهاية توصلاً إلى أهدافهم الوطنية والإنسانية.

٤- لا يُعقل أن يتوسّل مجتمع ما أناساً ما حلَّ متاعب قد تسببوا بها هم أنفسهم.

٥- لا تنشأ الأوطان بالسعي المَرَضي وراء الربح السهل والسريع وحب الظهور الأجوف الأرعن.

٦- ان هدف التجارة الطبيعي المساهمة في تحقيق السلم الأهلي بالدرجة الأولى. ولئن جمعت الروح التجارية المجتمعات والأمم، فهي لا تجمع الأفراد، فنحن نرى ان البلدان التي تقف جهودها على الروح التجارية، يُتَجَرُ فيها بجميع الأنشطة الإنسانية وبجميع القيم الأخلاقية. وأصغر الأمور التي تطلبها البشرية قد تحصل لها وتعطاها لقاء حفنة من المال.

المال عصب الحياة والأعمال ولكنه وسيلة ليس إلّا. وما يفتقر إليه وطننا هو رجل ليس كالرجال، كبير بأخلاقه، ملهم بأفكاره، يناضل في سبيل وطن أحبه وأخلص له، وجاهد في سبيل عزّته ومنعته، ومَهَرهُ من نتاج ذهنه وفيض نبوغه، وهذا من شأنه أن يُوفّر لوطنه وحتى البشرية جمعاء، ذخائر ونفائس، ترافق مواكب الأجيال وتتّسم بطابع الاستشراف والخلود.

أرجو أن يحيط القارئ النبيه كتاباتي التي زادت على ٥٠٠٠ مقال، بشيء من التفهّم، ولكن من دون تساهل على حساب الحقيقة. لقد حملت القضايا الحقة حبّاً في قلبي، قبل أن أحمل الوسامين الظرفيّين على صدري.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه